﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ٤٤﴾ [التّوبة: 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الـعـلاقـة بين الملاطفة العاتبة عـلـى الإذن بـالـتّـخـلُّـف، ووصف المبادرين لـلـجـهـاد دون تردّد

وقعتِ الآيةُ الكريمة بعد الملاطفةِ في عتابهِ ﷺ على إذْنِهِ لَهُم قبل تَبيُّن الصَّادق من الكاذب، فجاءتِ الآية الكريمة بالأوصاف الكاشفةِ عمَّا في الضَّمائر، ببيان أنَّ من عادة المؤمنين بالله واليوم الآخر ألَّا يستأذنوا في أَنْ يُجاهدوا بأموالهم وأنفسِهم، وإنَّما يبادرون إلى ذلك كُلَّما دعا داعي الجهاد في سبيل الله فـ"لمّا فاته ﷺ معرفتهم بهذا الطَّريق؛ شرعَ العالمُ بما في الضَّمائر يصفهم له بما يُعوِّض عن ذلك، فقال على طريق الجواب للسُّؤال: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾ أي: يطلب إذنَك بغاية الرَّغبة"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسۡتَـٔۡذِنُكَ﴾: الهمزةُ والذَّال والنُّون تدورُ تصريفاتُها على أصلَيْن متقاربَيْن مَعْنًى، متباعدَين لفظًا، فالأوَّلُ: الأُذُن؛ كلُّ ذي أُذُن، والآخر: العِلْمُ، تقول: فعلَ فلانٌ كذا بإذْني، أي: بعِلْمي، ويجوزُ: فعلَهُ بأَمْري، ووجهُ التَّقارُب بينَ الأصلَيْن المذكورَيْن في المَعنى: أنَّ بالأُذُنِ يَقَعُ عِلْمُ كلِّ مسموع[2]، واستأذن: طَلَبَ الإذْنَ، ومِنْهُ قول الله تعالى: ﴿فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [النّور: 59]، وقولُهُ ﷻ: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ﴾[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 3/327.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أذن).
(3) عبد الباقي، معجم ألفاظ القرآن الكريم: 1/44، 43.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

"إنَّ الذين يؤمنون باللّه واليوم الآخر لا يستأذنونك في القعود عن الجهاد؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ الجهاد فريضةٌ، ولأنَّهم أعزَّاء في ذات أنفسهم، ولأنَّهم يعلمون أنَّ اللّه تعالى مُبتليهم بالخوف والجوع ونقص مِنَ الأموال والأنفُس، ولأنَّهم يصبرون في الشَّدائد، ولأنَّهم يعلمون أنَّهم في الجهاد يفوزون بإحدى الحُسنيَين: النَّصْرِ أو الشَّهادة، وفيهما الخير كلُّه، ولأنَّهم يعلمون أنَّ الدُّنيا متاعها إلى أجل محدود، وأنَّ الآخرة خيرٌ وأبقى، ولذا ذُكِرَ الإيمانُ باليوم الآخر بجوار الإيمان باللّه اعتمادًا على القويِّ المتين، والإيمانُ بالآخرة إيمانٌ بالجزاء والعِوض عن الحرمان والشَّهادة"[1].

مَـن عـمّـر قلبه بـالإيـمـان، مـن المـؤمـنـين الـصّـادقـين، لـم يـستـأذن في الـجـهـاد، بل سارع إليه

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الجملة، بين البيان والتّعليل والاستئناف:

الجملةُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ﴾ "واقعةٌ موقعَ البيان لجملة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، وموقعَ التَّعليل لجملةِ ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾، أو هيَ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لِما تثيرُه جملة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، والاعتبارات متقاربةٌ، ومآلُها واحدٌ"[2]، وهذا التنوُّعُ يثري المعنى، فهذه الجملة تبيِّن الصَّادقين، وقد وقعت موقعَ التَّعليل للاستفهام، والمعنى: لِمَ أذنت لهم؟ والمؤمنون الحقُّ لا يستأذنون، وإنَّما يلبُّون دعوة الجهاد إيثارًا للآخرة على الدُّنيا، ويصحُّ أن تكون استئنافًا بيانيًّا، كيف يتبيَّن لي الصادقُ من الكاذب؟ فجاء الجواب.

دقّة الاستعمال لإبراز المراد، ممّا يُدرك ويُستفاد

سِرُّ التَّعبيرِ بالفعل المنفيّ:

آثَر النَّظمُ الكريم تصديرَ الآيةِ الكريمة: ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 6/3317.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/211.

يُؤْمِنُونَ﴾ بالفعلِ المنفيِّ؛ لبيان حقيقة المؤمنين الواقعة، فليس من شيمتهم الاستئذانُ في الخروج للجهاد، فصيغةُ الخبر أدلُّ على التصاقهم بهذه الصِّفة حتى صارت واقعًا يُخْبَرُ به عنهم، فـ "ليس من عادةِ المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، وكان الخُلَّصُ من المهاجرين والأنصار يقولون: لا نَستأذِنُ النَّبِيَّ ﷺ أبدًا، ولنُجاهدنَّ معه بأموالنا وأنفسنا"[1]، فطابق الإخبارُ عنهم، قال الزَّجَّاج: "أعلم اللهُ ﷻ نبيَّهُ ﷺ أنَّ علامةَ النِّفاق في ذلك الوقت الاستئذانُ"[2].

واقعُ حال المؤمنين عدمُ الاستئذان، والسّعي بلا تقاعس للجهاد

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ:

عُبِّرَ بالفعْل المضارِع ﴿يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ مِنْ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ لإفادَةِ التَّجدُّدِ والاستِمْرارِ، والمرادُ استمرارُ النَّفيِ لا نفيُ الاستِمْرارِ، بقرينَةِ مَدْحِهم وتعليقِ الفِعْلِ بوصفِهم بالإيمانِ، والمرادُ: أنَّهم مستمرُّونَ على تركِ الاستئذانِ في الجهادِ، بَلْ كُلَّما سمعوا داعيَهُ؛ أجابوا.

مُبادَرَةُ أَهْلِ الإيمانِ الصَّادِقينَ لِإجابَةِ داعي الجِهادِ

بلاغةُ تنوُّعِ مُتَعَلَّقِ الإذن:

قولُ اللهِ تَعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ قيل: لا يستأذِنونَ في التَّخلُّف عَنِ الجهادِ، بَلْ يَخْرُجون للجهادِ، ويُبادرونَ إليهِ مِنْ غير تعَلُّلٍ بالأعذارِ، ويجوزُ أن يكونَ مُتَعَلَّقُ الاستئذانِ الجهادَ، والمعنى: لا يستأذنونك في الجهاد، بل يَمضون فيه غير متردِّدين، وهذا والذي قَبْلَهُ متآيلانِ.

تنوُّعُ التَّعلُّق يكسب مدح المؤمنين

ويَحْتَمِلُ أَنْ يكونَ مُتَعَلِّقُ الاستئذانِ محذوفًا، ويكونُ قولُهُ: ﴿أَن يُجَـٰهِدُوا۟﴾ مفعولًا مِن أجله، تقديره: لا يستأذنك المؤمنون في القعود؛ كراهةَ أن يجاهدوا، بل إذا أمرتهم بشيءٍ بادروا إليه، أو أن التَّقدير: لا يستأذنك هؤلاء في ألَّا يجاهدوا، إلَّا أنَّه حُذِفَ حرفُ النَّفْي، كما حُذِفَ في قولِهِ: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: 176]، ويدلُّ على هذا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/527.

(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/445.

المحذوفِ أَنَّ ما قبلَ الآية وما بعدها يَدُلُّ على أنَّ هذا الذَّمَّ إنَّما كان على الاستئذان في القعود[1].

سِرُّ تقديمِ المفعولِ به على الفاعل:

تـمـيّـز الـرّسـول الأكـرم، بكونه الآذِنَ في الجهاد، والمـقـصـودَ بالخِطاب

قُدِّم المفعولُ به، وهو الضَّميرُ العائد على الرَّسول الكريم ﷺ في قوله: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾؛ لِمَزيد العناية به؛ إذ هو الدَّاعي إلى الجهاد، الآذِنُ فيه، فهو المقصودُ الأوَّل بالحديث، فقُدِّم على الفاعل تنبيهًا على أهمِّيَّته، وعِظَمِ مكانته في الجهادِ في سبيل اللهِ تَعالى.

نُكْتَةُ التَّعبير بالفاعل اسمًا موصولًا:

إطـالـةُ صيغةِ المـدحِ تعظيمٌ للمَمْدوحينَ

جاء الفاعلُ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ اسمًا موصولًا؛ لتَتْبَني عليه جُمْلَةُ الصِّلَةِ؛ وهي مناطُ الرِّفْعَةِ وعِظَمِ المكانة، وجاءت جُملة الصِّلة فِعْلًا مُضارِعًا إشارةً إلى تَجَدُّد إيمانِهم واستمرارِه.

دلالة تَقْييدِ الإيمان باللهِ واليوم الآخِر:

الإحـاطـةُ في الوصفِ بأركانِ الإيـمـان دالٌّ على عِظَمِ قَدْرِ الموصوفين

قُيِّدَ فِعْلُ الإيمانِ بالاسْمِ الأحْسَنِ (اللّه) في قول اللّه تَعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ تَعْظيمًا لِقَدْرِ إيمانهم، ولكونه الرُّكْنَ الأوَّلَ من أركان الإيمان، ثُمَّ عطفَ عليه (اليوم الآخر) وهو الرُّكن الخامسُ، وسِرُّ التقييد بذلك الإيماءُ إلى أنَّهم أحاطوا بأركان الإيمان؛ لكونِ الإيمانِ باللّه ﷻ إيمانًا بالمبدأ، والإيمانِ باليوم الآخر إيمانًا بالمَعَاد؛ فَهُمَا الطَّرَفانِ، وما سِوَاهما داخلٌ فيهما، على قاعدةِ: أَنَّ البَيْنَ مُسْتَحْضَرٌ في الطَّرفَيْنِ، وفي ذلك مدْحٌ لهم، وبيانٌ لعظيم قَدْرِهم.

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/527، وابن عادل، اللّباب: 10/104، 103، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/229. والسّمين الحلبيّ، الدّر المصون: 6/57، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/70، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/211.

نُكْتَةُ تقديم الجهاد بالمال، على الجهادِ بالنَّفس:

من صفاتِ المؤمنين بذلُ المال الذّي تتعلَّقُ به النَّفسُ، في سبيل اللهِ تَعالى

في إضافة الأموال والأنفس إليهم في قوله تعالى: ﴿بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ تخصيصٌ، وفي تقديمِ الأموال على الأنفس مع أنَّ بَذْلَ النَّفس هو الأشرفُ ؛ تنبيهٌ على إيثارهم أُخْراهم على دُنياهم، وعادةُ القرآنِ الكريم تقديمُ المال في الحديثِ عن زينة الحياة الدُّنيا، حتى إنَّهُ قُدِّمَ عَلى البَنين؛ وذلك لِما جُبِلت عليه النُّفوس من حبِّهِ والتَّعلُّق به، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: 46]، و﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ﴾ [التوبة: 85].

سِرُّ خَتْمِ الآيةِ بعِلْم الله بالمتقين:

شهادةٌ بأنَّهم انتظموا في سِلْكِ المتَّقين، لينالوا جزاءهم يوم الدّين

خُتِمَت هذهِ الآيَةُ بقولهِ سُبحانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾ تأكيدًا لمضمون الآية الكريمة "وتقريرًا لمضمون ما سبق، كأنَّهُ قيل: واللّهُ عليمٌ بأنَّهم كذلك، وإشعارًا بأنَّ ما صدَرَ عنهم مُعلَّلٌ بالتَّقوى"[1]، وَخُتِمت الآية الكريمة بالجملة الاسميَّة، ووقع المسند إليه بالاسم الجليل (اللّه) إشعارًا بالمهابة والجلال.

ووقع المسندُ صِفَةً من صفاتِه جلَّ وعزَّ، وهذه الصِّفةُ تناسبُ السِّياق؛ إذِ الحديثُ جارٍ في مطاوي النُّفوس وخبايا القلوب، ووقع الجارُّ والمجرور صِفَةً عُلْيا من صفات المؤمنين، وهذا الختمُ "شهادةٌ لهم بالانتظام في زمرة المتَّقين، وعِدَةٌ لهم بأجزل الثَّواب"[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/70.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/527، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/70.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 17 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-14-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 17 : المجلد السابع عشر، سورة التوبة من الآية 23 إلى الآية 86.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-14-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4716310 بتاريخ 2024/01/24م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»